الحــرب كأداة من ادوات السياسة الخارجية

(*)الدكتور / محمد مسعود عاشور

مقدمـــــــــة:

تتميز الحرب بدرجة عالية من التعقيد و التشعب و هو ما يجعل تقديم اطار او مدخل نظري لدراستها مطلبا اساسيا. فمثلما نتحدث في الاقتصاد عن الطلب الفعال ونعني به الرغبة في الشراء مقرونة بالقدرة الشرائية، فإننا في السياسة الخارجية نتحدث عن السياسة الخارجية الفعالة ونعني بها الرغبة في تحقيق هدف خارجي مقرونة بالقدرة على تحقيق هذا الهدف. والدولة عادة ما تترجم مقدرتها على تحقيق الهدف من خلال استخدامها لوسائل مختلفة أهمها الدبلوماسية و القوات المسلحة.

تتمتع الولايات المتحدة بتفوق عسكري كبير في عالمنا اليوم فمن صناعة الاسلحة المتطورة الى التكنولوجيا مما يسمح لها بالسيطرة الكبيرة على كل أنحاء العالم. فالولايات المتحدة تعتبر نفسها مصدر المؤسسات الديمقراطية في العالم، مما جعلها تنصّب نفسها حكما على نزاهة الانتخابات في كل دول العالم، وتفرض عقوبات اقتصادية أو تفرض ضغوطا أخرى إذا لم تستوف معاييرها للديمقراطية. ونتيجة لذلك تنتشر القوات الأمريكية حول العالم كنقاط استعداد للتدخل العسكري المباشر متى ما تطلبت السياسة الخارجية ذلك.

سنقوم في هذه الدراسة بتناول الحرب كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية و التنبيه الى مخاطر تقديم هده الوسيلة مما يؤثر سلبا على الاستقرار الدولي و نشوب حروب خارج نطاق الشرعية. و سنتناول هدا الموضوع كالآتي:

- الحرب المفهوم, الأنواع, الاسباب
- طبيعة و انواع الحرب
- عوامل الحرب
- الاثار الاجتماعية للحرب
- الاثار الاقتصادية للحرب
- الاثار السياسية للحرب

الحرب المفهوم : الانواع : الاسباب

(*)عضو هيئة تدريس ب كلية الاقتصاد ترهونة - جامعة الزيتونة

تتناول هده الفقرة الجوانب النظرية لمفهوم الحرب المتعلقة بالمفاهيم الاخرى و طبيعة و انواع الحرب و الاسباب المؤدية لها.

مفهوم الحرب

لقد شهد مفهوم الحرب مثل العديد من المفاهيم اختلافا في تعريفه و نستعرض هنا اكثر هده التعريفات شيوعا.

عرف ((Quincy Wright)) الحرب بأنها:

((صراع ما بين جماعات سياسية, خاصة الدول ذات السيادة, تدار بواسطة حجم معقول من القوات المسلحة لفترة معقولة من الزمن)) [1].

و يأخد علي هدا التعريف مسألة ما هو الحجم المعقول من القوات المسلحة و ما هي فترة استمرار الحرب.

و يعرفها ((Glossop)) ((بأنها صراع مسلح ما بين جماعات منظمة تهدف الى انشاء او توطيد حكومة)) [2]

و تتناول الكتابات العسكرية و الإستراتيجية ظاهرة الحرب من حيث العنف الذي تشمله و كيفية توظيف الحرب في اطار استراتيجية كبرى للدولة. فيعرف((كلاوزفيتر)) الحرب بأنها ((عمل عنيف يتم دفعه الى اقصى الحدود, يتم اتخاذه بهدف ارغام الخصوم على تنفيذ ارادتنا و اهدافنا)) [3].

و يعرفها اخر بأنها ((صراع مسلح يعني الاستخدام الثنائي للقوات المسلحة و هو شكل متطرف لكل التناقضات بين الدول)) [4].

في حين يعرفها احد علماء النفس بأنها:

((الحالة التي يتنافس فيها الاطراف بالقوة و ان هده الحالة تتميز بنقاط محددة و دقيقة في الزمن تفصل بين حالة الحرب و حالة السلم)) [5].

في حين نجد ان علماء الاجتماع يعتبرون ان الحرب ظاهرة اجتماعية و حالة من التطور الخاص بالمجتمع تمر بها المجتمعات المختلفة كما يركزون عاى وظيفة الحرب, حيث انها ساعدت على ظهور العديد من الحضارات, كذلك دمرت حضارات اخرى, و انها عملية مستمرة قد تؤدي الى تطور و تقدم

---

[1] Ronald.jGlossop, Confromting War. An Examination of Humanity, smost Pressing. Problem, (London:mc,farlanol, 1983)

[2] Ibid, P.7.

[3] روجر باركنس, موسوعة الحرب الحديثة- الجزء الثاني- ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي- بغداد- دار المامون- 1990- صفحة رقم (27)

[4] الموسوعة العسكرية- الجزء الاول- بيروت: الموسوعة العربية للدراسات و النشر- سنة 1981- صفحة رقم (512).

[5] احسان محمد الحسن- علم الاجتماع العسكري- الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية- سنة 1990- صفحة رقم (107).

المجتمع او تراجعه و فنائه, كما يهتمون بدراسة البناء الاجتماعي في الدول اطراف الحرب و مدى تاثره بها.

الحرب و مفاهيم الصراع و الازمة و العنف

توجد ثلاثة مفاهيم تلتقي مع مفهوم الحرب و هي كالآتي:

1. الحرب و الصراع

يستخدم مصطلح الصراع للإشارة لمجموعة تنخرط في تعارض واع مع مجموعة او مجموعات اخرى لتحقيق اهداف متناقضة [6].

كما ان ادوات ادارة الصراع مختلفة و متنوعة و ليست مقصورة على الاداة العسكرية حيث توجد الادوات الاقتصادية و الدبلوماسية و التخريب السياسي: فيما يتعلق بالعلاقة بين الصراع و الحرب نجد ان الحرب هي احد صور الصراع ما بين اطرافها و لكن ليس كل صراع هو حرب, فقد يوجد الصراع و لكن لا يتخذ صورة الحرب او يصل الى حد الحرب.

2. الحرب و الازمة

الازمة هي تحول فجائي عن السلوك المعتاد, وتعني سلسلة من التفاعلات يترتب عنها نشوء موقف فجائي ينطوي على تهديد مباشر للقيم او المصالح الجوهرية للدولة مما يستلزم معه ضرورة اتخاذ قرارات سريعة في وقت ضيق [7].

و يرى البعض ان الازمة هي حالة تعكس وجود صراع حاد بين اطراف النظام الدولي تكون مصحوبة في العادة بزيادة كبيرة و ملحوظة في تبادل التهديدات العدائية التي تؤدي في نهاية الامر الى اندلاع حرب فعلية [8].

اذا ما اعتبرنا الازمة تمر بثلاث مراحل هي:

1. مرحلة بداية الازمة 2. مرحلة تزايد الازمة 3. مرحلة انهاء الازمة

فانه يمكن اعتبار الحرب احدى مراحل الازمة و خاصة في المرحلة الثانية و هي المرحلة التي يزيد فيها التهديد لقيم و اهداف الدول اطراف الازمة و يزيد الاحساس بضيق الوقت المتاح لاتخاذ القرار و يزداد ادراك اطراف الازمة لاحتمال الحرب.

3. الحرب و العنف

---

[6] جيمس دروتي- روبرت بالستغراف– النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية – الكويت: كاظمة للنشر و الترجمة و التوزيع – سنة 1985 - صفحة رقم (140).

[7] مصطفى علوي – الدراسات الاستراتيجية – مجلة الفكر العربي – العدد 37 – يوليو- سنة 1991 - صفحة رقم (21).

[8] مصطفى اخشيم– قضايا و ازمات دولية معاصرة: النظرية و التطبيق – طرابلس: منشورات الجامعة المفتوحة – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية – سنة 1990 – صفحة رقم (32- 33).

يمكن اعتبار الحرب على انها اكثر انواع السلوك عنفا او انها عملا عنيفا و اكثر مظاهر العنف وضوحا حيث تتضح نتائجها و اثارها بما يمكن ملاحظته.

و يعتبر عنفا كل سلوك قولي او فعلي يتضمن استخداما للقوة او تهديدا باستخدامها لالحاقالادى و الضرر بالذات او الاخرين و الاتلاف بالممتلكات و دلك لتحقيق اهداف معينة [9].

نستخلص من دالك ان الحرب عمل من اعمال العنف و اكثرها وضوحا, الا انه ليس كل عمل عنيف يعني بالضرورة الحرب, و مع وجود مظاهر اخرى للعنف غير الحرب.

الخلاصة

نجد ان هناك علاقة بين الحرب و مفاهيم الصراع و الازمة و العنف ففي حين نجد ان الحرب هي احدى صور الصراع, و لكن ليس كل صراع يعني حربا فقد يأخذ الصراع اشكالا اخرى غير الحرب. و لكن نجد بان هده العلاقة بين الحرب و هده المفاهيم اكثر التقاءا مع مفهوم العنف باعتبارها اكثر اعمال العنف وضوحا. و بالتالي يكون العنف هو اقرب المفاهيم تعبيرا عن الحرب من المفاهيم الأخرى التي لا تشكل الحرب الا مرحلة من مراحلها مثل الازمة او شكلا من اشكالها مثل الصراع.

طبيعة و انواع الحرب

ان الحرب ليست مجرد عمل عسكري, و انما هي حدث اجتماعي شامل له اثاره العديدة على المجتمع, كما تتأثر طبيعة الحرب بالأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية الخاصة بأطرافها كما سنوضحها لاحقا.

1. العوامل المحددة لطبيعة الحرب

توجد العديد من المحددات الخاصة بطبيعة الحرب سواء الخارجية او الداخلية و التي يمكن توضيحها كالآتي:

أ- **البيئة الدولية**: و طبيعة النظام الدولي السائد و شكل الحرب التي يسمح بها, خاصة في المناطق ذات الاهمية العالمية مثل منطقة الخليج العربي.

ب- **البيئة الداخلية**: حيث توجد العديد من المحددات لطبيعة الحرب النابعة من البيئة الداخلية و هي:

- **العوامل السياسية**: مثل حجم التأييد للنظام و قدرته على تعبئة الموارد اللازمة للحرب و اقناع الرأي العام بمشروعية الحرب.

[9] حسنين توفيق – ظاهرة العنف السياسية في النظم العربية – جامعة القاهرة - – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية – سنة 1990 – صفحة رقم (36).

- **العوامل الاقتصادية**: مثل حجم و طبيعة الاقتصاد و قدرته على تحمل حالة الحرب و توفير مواردها.
- **العوامل التقنية**: و يقصد بها مستوى التطور التقني للأطراف المشاركة في الحرب و قدرتهم على تطويع هده التقنية في خدمة الحرب.
- **العوامل النفسية و الثقافية**: و يقصد بها تراث المجتمع و مدى تقبله للحرب.

و بالتالي نجد ان طبيعة الحرب و شكلها و نتائجها تتحدد بتأثير مجموعة من العوامل السالفة الذكر و ليس العوامل العسكرية فقط و انما تمثل انعكاسا مباشرا للعوامل المختلفة.

2. انواع الحرب

توجد العديد من التصنيفات للحرب حيث تختلف هده التصنيفات من كتاب الى اخر و يمكن التوصل الى عدة انواع للحرب هي كالآتي:

- **من حيث الأهداف** حرب عادلة – حرب غير عادلة- حرب تحرر قومي - حرب عصابات.
- **من حيث نوعية السلاح:** حرب تقليدية - حرب نووية.
- **من حيث مسرح العمليات:** حرب محلية او محدودة – حرب عالمية او شاملة.

و بهذا يمكن القول بأنه توجد عدة اسس لتصنيف الحروب و تحديد انواعها فالبعض ركز على اطراف الحرب سواء اكانت دول او عصابات مسلحة و البعض الاخر ركز على السلاح المستخدم كأساس لتصنيف الحروب من حيث مدى تعقده و قدرته التدميرية و اخرين قد ركزوا على الغاية من الحرب او الاهداف التي يسعى المحاربون الى تحقيقها و ركز البعض الاخر عن الاطار المكاني او مسارح العمليات التي تتم عليها الحروب او النطاق الجغرافي للحرب.

عوامل الحرب

لقد تعددت العوامل الخاصة بالحرب و الاسباب التي تؤدي اليها حيث يمكن تقسيمها الى عوامل خاصة بالبيئة الدولية و اخرى خاصة بالبيئة الداخلية و فيما يلي عرض لبعض العوامل التي يمكن ان تؤدي الى الحرب.

1. العوامل الخاصة بالبيئة الدولية

اكد بعض المفكرون على دور النظام الدولي في اندلاع الحرب و بدلك يمكن القول بوجود ثلاثة ابعاد في البيئة الدولية تؤثر في نشوب الحرب و هي:

أ- هيكل النظام الدولي

ب- التفاعلات فيما بين وحدات النظام

ت- اليات التحكم في النظام

أ- **اما فيما يتعلق بهيكل النظام الدولي** فقد اختلفت الاراء حول أي هيكل للنظام تقل فيهاحتمالات الحرب , فهناك اتجاه يؤكد ان الثنائية القطبية يمكن ان تؤدي الى الحرب, في حين يؤكد اخر على انها اكثرها استقرارا و تقل فيها احتمالات الحرب, بينما يؤكد اتجاه ثالث ان الاحادية القطبية اكثر استقرارا و تقل فيها الحرب بينما تؤكد اراء اخرى على ان احتمالات الحرب تقل في النظام متعدد القطبية. و يأتي كل اتجاه بما يؤكد مقولاته, و وصل الخلاف الى حد التشكيك في الارتباط بين هيكل النظام الدولي و الحرب و هدا يوضح ان هيكل النظام في حد ذاته ليس محددا لاندلاع الحرب بشكل مطلق و انما توجد عوامل اخرى.

ب- **طبيعة التفاعلات فيما بين وحدات النظام.** ان تزايد الاعتماد المتبادل فيما بين دول اعضاء النظام الدولي و تبادل المصالح يقلل من احتمالات الحرب, اما وجود الصراع في المصالح و سباق التسلح فيؤدي الى زيادة استخدام القوة في حل الخلافات فيما بين الدول و بالتالي تزداد احتمالات الحرب في البيئة الدولية.

ت- **اليات التحكم في النظام الدولي.** توجد عدة اليات للتحكم في الصراع السائد في النظام الدولي مثل المفاوضات و الحد من التسلح و الاحلاف الدولية [10].

ان هده الاليات يمكن ان تزيد من قدرة النظام الدولي على تقييد و تحجيم الصراع فيما بين أطرافه حيث ان زيادة النمط التفاوضي في النظام الدولي و جهود ضبط التسلح و الحد منه يمكن ان تقلل من الصراع الدولي. اما فيما يتعلق بالأحلاف فاختلفت الاراء حولها حيث اكد اتجاه على ان وجود الاحلاف يؤدي الى ضبط الاعضاء في كل منها و بالتالي يقلل الصراع خشية اتساع نطاقه و تدخل اطراف أخرى في حين يؤكد اتجاه اخر ان وجود الاحلاف سببا من اسباب الحرب.

2. **العوامل الخاصة بالبيئة الداخلية.**

يمكن ان تسببعوامل عدة في نشوب الحرب سواء سياسية او اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او ايديولوجية او نفسية و يتم دلك كالتالي:

أ) **الاسباب السياسية الداخلية.** يوجد العديد من الاسباب السياسيةالتي قد تؤدي للحرب مثل وجود نخبة ذات اصول عسكرية او تمتع النظام الحاكم بحرية اتخاذ القرار الخاص بالحرب, او رغبةالنظامفي استغلال الحرب كأداة لكسب التأييد و تحقيق

[10] بطرس بطرس غالي, محمود خيري عيسى – المدخل في علم السياسة – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – سنة 1989 - صفحة رقم (355).

الامن و الاستقرار في الدولة او بالأخص للنظام الحاكم الذي يجد في الحرب اداة لتحقيق دلك من خلال جمع اللحمة الداخلية في مواجهة خطر خارجي.

ب) **الاسباب الاقتصادية.** يلعب العامل الاقتصادي دورا في نشوب الحرب مند القدم حيث مثل الحصول على الموارد الاقتصادية لآخرين عن طريق الغزو وسيلةلزيادة الموارد الاقتصادية كما ان فتح الاسواق و الحصول على المواد الخام مثل سببا للحروب المعاصرة مثل حرب الخليج الثانية.

ج) **الاسباب الاجتماعية.** قد تمثل التركيبة الاجتماعية و وجود اقليات في المجتمع سببا للحروب, بل ان الحرب يمكن ان تشكل وسيلة لمواجهة الزيادة السكانية في المجتمع و دلك بإتباع اسلوب الغزو للمناطق الاخرى لزيادة موارد الدولة [11]. او للتخلص منالزيادة السكانية, كما ان عدم استقرار المجتمع و تزايد العنف الداخلي يمكن ان يمثل سببا للحرب.

د) **الاسباب الثقافية و الايديولوجية.** ان سيادة قيم و مبادئ ثقافية معينة في المجتمعات تشجع على الحروب و يمكن ان تؤدي الى نشوبها, كما ان العديد من الحروب نشأت بسبب قيم دينية و قومية او ايديولوجية معينة.

ه) **الاسباب النفسية.** ظهرت النظريات النفسية بصفة اساسية لدراسة العوامل النفسية وراء الحرب مثل دوافع القيادات, و كذلك الدوافع النفسية للشعوب و الطبيعة البشرية ذاتها و دور الغرائز في نشوب الحرب [12].

إلا انه في ظل تطور المؤسسات السياسية و ضخامة النتائج الناتجة عن الحرب فان دور العوامل النفسية قد تراجع نسبيا.

و بهذا يمكن القول بان الحرب ظاهرة معقدة و متشعبة و هو ما اتضح في تناول مفهوم الحرب و كذلك طبيعتها و انواعها و الاسباب و العوامل المختلفة لها كما اتضح ان فهم ظاهرة الحرب و اسبابها يحتاج الى تفسير جميع الحقول العلمية المختلفة و دلك للوصول لفهم دقيق لظاهرة الحرب و هو ما اتضح بصورة مؤكدة في تناول اسباب الحرب سواء الدولية او الداخلية, حيث ان بعض الاسباب نجدها تلعب دورا رئيسيا في نشوب الحرب في

[11] محمد ازهر السماك – الجغرافية السياسية اسس و تطبيقات – جامعة الموصل – دار الكتب للطباعة و النشر – سنة 1988- صفحة رقم (162).

[12] احمد عبده بيلي – الحرب و اثرها في القيم الاخلاقية و معايير السلوك الاجتماعي – الاسكندرية – دار المعرفة الجامعية – سنة 1984 – صفحة رقم (57).

حالات محددة في حين ان دور هده الاسباب قد يتراجع في حالات اخرى و بالتالي فان تفسير ظاهرة الحرب يحتاج الى جميع مجالات الدراسات الاجتماعية و العسكرية المختلفة.

الاثار الناجمة عن الحرب

تتعدد الاثار الناجمة عن الحرب حيث انها تترك اثارا على مجالات الحياة المختلفة لدى الدول الاطراف فيها, كما ان الحرب يمكن ان تفرز اثارا على دول لم تكن طرفا فيها.

تؤثر الحرب على كافة الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و العسكرية, للدول الاطراف فيها, و لقد اختلفت الاراء حول تقييم هذه الآثار فالاعتقاد السائد ان الحرب تترك اثار سلبية على جميع الجوانب, إلا ان هناك اتجاه يؤكد على ان للحرب اثار ايجابية.

سنتناول تأثير الحرب على جميع الجوانب السابقة في ثلاث نقاط رئيسية و هي كالآتي:

اولا : الاثار الاجتماعية للحرب

ثانيا : الاثار الاقتصادية للحرب

ثالثا : الاثار السياسية للحرب

اولا : الاثار الاجتماعية للحرب

للحرب اثار مختلفة على الجوانب الاجتماعية في الدولة, حيث انها اكثر الجوانب حساسية و قابلية للتأثر, فالحرب تترك اثارا على بقية النظم الاجتماعية في المجتمع كما انها ((مؤسسة اجتماعية لها احكامها و نظمها و تقاليدها و اهدافها و اساليبها و انها كذلك لها نتائج يمكن رصدها)) [13].

و فيما يلي نتناول اثار الحرب الاجتماعية من خلال عدة ابعاد:

1. **الحرب و البناء و التطور الاجتماعي:**

توجد عدة نظريات التي تناولت اثار الحرب على البناء الاجتماعي حيث تؤكد النظرية الداروينية في بعض اتجاهاتها ان الحرب وظيفة و لها اثار اجتماعية هامة, ان الحرب تحفظ و تقوي التماسك الاجتماعي كما ان الحرب تحقق التضامن الاجتماعي و حدوث حالة من النهضة الشاملة للمجتمع فيما بعد الحرب و هو ما حدث في اوروبا عقب الحربين العالميتين الاولى و الثانية [14].

فالحرب هنا تحدث نوعا من التسريع لعملية الانتقال الاجتماعي و حركة من التحضر و التصنيع و التحديث الشامل. و من ثم تؤكد بعض الاراء على الجوانب الايجابية للحرب مثل تقوية التماسك و التضامن الاجتماعي, كذلك ادخال المجتمع في مرحلة جديدة من التطور و التحديث.

2. **الهجرة بسبب الحرب:**

[13] نفس المرجع السابق – صفحة رقم (58)

[14] نفس المرجع السابق – صفحة رقم (57)

نجد بأنه نتيجة للدمار الناتج عن الحرب و تهديد سكان مناطق بأكملها يحدث نوع من الهجرة سواء الاختيارية او الاجبارية التي تفرضها الدولة على سكان هده المناطق حرصا على ارواحهم و تقليلا لحجم الخسائر البشرية. و ينتج كذلك عن الحرب اعادة بعض العمالة المهاجرة الى دول اطراف الحرب.

فنتيجة لحرب الخليج الثانية على سبيل المثال تم اعادة حوالي (300.000) عامل اردني و (371.800) عامل يمني من دول الخليج الى دولهم نتيجة لمواقف دولهم المساندة للغزو العراقي للكويت [15]. و هو ما ترتب عليه مشاكل اجتماعية مختلفة مثل توفير الخدمات لهؤلاء المهاجرين و توفير فرص عمل لهم.

3. الخسائر البشرية و تاثيرها على التركيب السكاني

تمثل الخسائر البشرية اهم الاثار الناجمة عن الحرب. حيث ان السكان هم اساس المجتمع و جميع الانشطة التي تتم فيه, و من ثم تمثل الخسائر البشرية و التي عادة ما تكون بين القوى المنتجة في المجتمع من متوسطي العمر اهم الخسائر الناتجة عن الحرب على الاطلاق.

كما ان نظريات السكان تعتبر ان الحرب تمثل احد المراجعات الايجابية للسكان و التي تؤثر على عملية اعادة الانتاج حيث ان العديد من قادة الشعوب قد يفضلون استخدام الحرب لتقليل عدد السكان [16].

كذلك توجد علاقة طردية بين تطور الاسلحة و حجم الضحايا من السكان سواء اكانو جنودا في المعركة او مدنيين على الرغم من تأكيد القوانين و الاعراف الدولية المنظمة للحرب على ضرورة عدم التعرض للمدنين او استهدافهم لضربات عسكرية.

- نستخلص من دلك على وجود تضارب للدراسات الاثار الناجمة عن الحرب فالبعض يؤكد على وجود تأثير ايجابي للحرب على الجوانب الاجتماعية و الاخر يؤكد على وجود تأثير سلبي, و كل من الاتجاهين يقدم البراهين على صحة ادعائهما.

ثانيا : الاثار الاقتصادية للحرب

تنتج عن الحرب بكافة انواعها اثارا اقتصادية سلبية سواء كانت فورية ناتجة عن الدمار الدي يلحق بالدول اطراف الحرب او غير مباشرة تتعلق بالآثار الاقتصادية الاجلة للحرب, كما انها قد تشمل دولا اخرى لم تكن طرفا في الحرب نتيجة لتأثراقتصادياتها بما قد ينجم عن الحرب على الدول الاطراف فيها, كما قد يكون التأثير عالميا اذا ما كانت الحرب بين دول ذات اهمية اقتصادية عالمية مثل دول

[15] عادل محمد عبد اللطيف –استبعاب العمالة العائدة – حالة الاردن و مصر و لبنان و اليمن – المستقبل العربي – العدد (182) – 4- 1994 – صفحة رقم (53)

[16] محمد ازهر السماك – مرجع سابق – صفحة رقم (161).

الخليج, نتيجة لاحتوائها على سلعة مهمة و هي النفط, و فيما يلي نتناول بعض الاثار الاقتصادية للحرب.

1. الاثار الاقتصادية على الاطراف المباشرة في الحرب

وهي الاثار الاقتصادية السلبية التي تنتج عن الحرب على اطراف النزاع الاساسين و من هده الاثار:

أ) نفقات الحرب

حيث ان نفقات الحرب يتم سدادها من خلال الموازنة العامة للدولة و التي تكون في الغالب غير مخطط لها بشكل دقيق, و من ثم يتم تخصيص نسبة عالية من الناتج القومي و الارصدة القومية لمواجهة حالة الحرب هذه و زيادة الديون و قد تلجأ الدولة الى فرض ضرائب جديدة لمواجهة الخلل في ميزان الايرادات و المصروفات و مواجهة الديون المتراكمة عليها.

بل ان الدول قد تملك موارد اقتصادية هائلة و لكن نتيجة للحرب و نفقاتها تخرج منها مدينة و هو ما حدث للعراق حيث زادت تكاليف حربه المباشرة مع ايران على 200 مليار دولار [17].

ب) نسبة الانفاق العسكري من الناتج القومي

حيث انه في ظل الحرب يصل الانفاق العسكري الى اعلى معدلاته و يلتهم نسبة غير عادية من الناتج القومي, كما ان الانفاق العسكري قد تزيد نسبته فيما بعد الحرب اذا لم يتم تسوية النزاع او استمرار شعور الدولة بالتهديد.

((و هو ما حدث في اسرائيل فيما بعد الحرب 1967 حيث ارتفع الانفاق بنسبة 18٪ و 26٪ و 84.5٪ خلال سنوات 68\69\1970)) [18].

كما ان نسبته قد تقل فيما بعد الحرب و تتجه الجهود الى اعادة التعمير.

كما ان نسبة الانفاق العسكري من الدخل القومي تتزايد فيما قبل الحرب او نتيجة لشعور الدول الاطراف بتهديد الحرب و هو ما يترك اثار سلبية على قطاعات الاقتصاد المختلفة و نصيبها من الناتج و الدخل القومي و خاصة الخدمات و البنية الاساسية اللازمة للتنمية الاقتصادية.

ج) الاثار النقدية و الاستثمارات

تؤدي الحرب الى اهتزاز قيمة العملة الخاصة بالدول اطراف الحرب نتيجة للضعف الذي يصيب اقتصادها, حيث ان العملة هي مرآة عاكسة لحالة الاقتصاد.

---

[17] حسن شكري – اسرار حقبة العرب و النفط و الالف مليار دولار: (القاهرة: دار الكتاب العربي, 1991) - صفحة رقم (111).

[18] عبد الرحمن حسن صبري – اثر الانفاق العسكري في اسرائيل على مسار النمو الاقتصادي, (القاهرة: دار النهضة العربية,1980) - صفحة رقم (196).

فعلى سبيل المثال وصل الدينار الكويتي الى تسع قيمته ابان حرب الخليج الثانية نتيجة لقيام العراق بإعلان المساواة بين عملتي البلدين ثم الغى بعد دلك التعامل بالدينار الكويتي [19].

كذلك تؤثر الحرب بالسلب على قطاع الاستثمار في الدول المتحاربة و تمتد الى بقية المنطقة لعدم وجود بيئة مستقرة ملائمة للاستثمار.

فلقد ادت حرب الخليج الثانية الى فقدان الثقة من جانب رجال الاعمال العرب و الاجانب في جدوى الاستثمار في المنطقة العربية [20].

كذلك تؤدي الى اسراع المواطنين و الاجانب بسحب الارصدة من بنوك الدول اطراف الحرب او المهددة بها.

فعلى سبيل المثال ثم سحب (15) مليار دولار من الارصدة في البنوك السعودية و الخليجية اثناء حرب الخليج الثانية و الفترة التي سبقتها, و (30٪) من الودائع في البنوك الاماراتية [21].

د) هيكل الصادرات و الواردات

تؤثر الحرب على هيكل الصادرات و الواردات الخاص بالدول اطراف الحرب, حيث قد يتم توجيه ضربات عسكرية لمنع الطرف الاخر من تصدير سلعه و منتجاته و دلك بتوجيه ضربات للموانى او مناطق انتاج السلع و المواد الخام التي يتم تصديرها و من دلك ما حدث في حرب الخليج الثانية بإشعال العراق النيران في ابار النفط الكويتية و كذلك ظهور حرب الناقلات النفطية اثناء الحرب العراقية الايرانية. و بطبيعة الحال تؤدي الحروب الى تغيير في نمط الواردات حيث تزداد واردات الاسلحة و المعدات الحربية و العديد من السلع لخدمة العمليات الحربية.

2. الاثار الاقتصادية للحروب لغير اطرافها

قد تسفر الحرب على اثار اقتصادية على الدول التي ليست طرفا مباشرا في الحرب.

فعلى سبيل المثال تأثرت (60) دولة في اوضاعها الاقتصادية نتيجة لحرب الخليج الثانية [22].

و تتباين التأثيرات و تنتشر من حيث المجالات التي تشملها إلا ان الفارق الاساسي يكون في درجة التأثير حيث تزداد في حالة الاطراف المباشرة للحرب كما انها تختلف من دولة الى اخرى من هده الدول.

---

[19] مصطفى كامل السيد – الاثار السياسية الداخلية في الوطن العربي للجولة الاولى من حرب الخليج الثانية – في د. نازلي معوض, محرر – الوطن العربي في عالم متغير: ازمة الخليج الثانية (القاهرة: مركز البحوث و الدراسات السياسية – سنة 1991 - صفحة رقم (60).

[20] سمر سلام – تداعيات الازمة و حركة رؤوس الاموال العربية – السياسة الدولية – العدد 103 – يناير – سنة 1991 – صفحة رقم (111).

[21] المرجع السابق – صفحة رقم (111).

[22] مصطفى كامل السيد - مرجع السابق – صفحة رقم (60).

و تتأثر كذلك الدول بعودة العمالة المهاجرة اليها اذا ما نشبت حروب في المناطق التي هاجروا اليها و هو ما يثير العديد من المشاكل الاقتصادية لدى هده الدول و فقدان مصدر دخل لها في التحويلات التي كانوا يرسلونها الى دولتهم الام.

- نستخلص من دلك كله ان الاثار الاقتصادية التي تنجم عن الحرب قد تكون ايجابية و قد تكون سلبية, إلا اننا نرجح اثارها السلبية على الإيجابية كدلك وجود تراجع في النظريات التي تبرر الحرب بجدواها الاقتصادية للطرفين المنتصر و المهزوم \ كذلك نجد ان اثار الحرب الاقتصادية لا تقتصر على اطرافها المباشرة فقط و انما تمتد لتصل الى اطراف اخرى ليست طرفا مباشرا فيها نتيجة الاعتماد المتبادل للاقتصاد العالمي بين الدول.

ثالثا : الاثار السياسية للحرب

تختلف الاثار السياسية للحرب في مستوياتها حيث انها يمكن ان تشمل النظام السياسي الداخلي للدولة فقط او تمتد الى النظام الاقليمي الدي يشمل اطراف الحرب كما انها يمكن ان تصل الى حد ترك اثار واضحة على النظام الدولي, كما ان الاثار السياسية للحرب قد تظهر كنتيجة مباشرة للحرب او تظهر على المدى الطويل و سوف نتناول الاثار السياسية للحرب على المستويين داخليا و اقليميا.

توجد اثار عديدة للحرب نتناول بعضها فيما يلي \ مع التاكيد ان هده الاثار تختلف حسب مدة الصراع و اهدافه و طبيعة و سياسات الاطراف و من ثمة تختلف من حالة لاخرى و هده الاثار هي:

1. **الاثار السياسية الداخلية للحرب**

أ) **تماسك الجبهة الداخلية**

حيث ان الحرب قد تؤدي الى زيادة التماسك الداخلي و كدلك **قد** تؤدي الى انهياره, حيث يزيد التماسك اذا كانت الحرب محاولة للرد على تهديد خارجي يمس وحدة الامة او سلامة اراضيها و كانت هناك درجة اتفاق عالية على هدا التهديد, اما اذا لم يكن هناك ادراك عام بوجود هدا التهديد و امتدت فترة الصراع و زادت التضحيات بدرجة كبيرة فان التماسك الداخلي قد يضعف بل و قد ينهار.

ب) **الحرب و تركيز السلطات**

حيث ان الحرب تؤدي الى تركيز السلطات المدنية و العسكرية في ايدي عدد محدود من القادة او ان هدا ينتج عن طبيعة الحرب ذاتها و التي تتطلب صلاحيات اكبر للقيادة لضمان تلبية احتياجات الحرب و تظهر سلطات استثنائية حتى في المجتمعات الديمقراطية.

ج) الحرب و استقرار النظم السياسية

هناك العديد من الدراسات التي تناولت العلاقة بين الحرب و استقرار النظم السياسية, فالبعض اكد على ان عدم استقرار النظام السياسي قد يكون باعثا للدخول في حرب لزيادة تاييد النظام مما يتيح درجة من الاستقرار الداخلي.

و اكدت بعض الدراسات ان الحرب في حالة الانتصار ينجم عنها درجة من الاستقرار الداخلي, بينما في حالة الهزيمة فان الحرب يكون تاثيرها سلبيا على استقرار النظام السياسي, كما قد تؤدي الى تغيير شكل النظام السياسي [23].

و من ثم نستخلص ان الاثار الداخلية السياسية للحرب تتفاوت من حرب الى اخرى و من دولة الى اخرى تبعا للعديد من العوامل السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية.

2. الاثار السياسية الاقليمية للحرب

تنجم عن الحرب العديد من الاثار السياسية على النظم الاقليمية سواء كانت مباشرة او غير مباشرة, كما انها قد تنتهي بعد فترة زمنية محدودة و قد تستمر كاحد المؤشرات الهيكلية في النظام الاقليمي و فيما يلي سنتانول اثار الحرب على التفاعلات الاقليمية, و التهديدات الموجهة للنظام الاقليمي, ثم الحرب و تاثيراتها على المنظمات الاقليمية.

أ) الحرب و التفاعلات الاقليمية

تؤدي الحرب خاصة ادا كانت بين اعضاء في نظام اقليمي واحد الى انقسام النظام الى قسم مؤيد لطرف و قسم اخر مؤيد لطرف ثان و هو ما يؤدي الى نمط من العلاقات التعاونية في جانب و نمط من العلاقات الصراعية في جانب اخر و هو ما يهدد بانهيار النظام الاقليمي او سحب بعض الدول من اطار هدا النظام الى نظام اخر او يادة عدم ثقتها في النظام الاقليمي الخاص بها و الاعتماد على تحالفات خارجية. و من الامثلة على دلك حرب الخليج الثانية و ما ادت اليه من انقسام داخل النظام الاقليمي العربي بين مؤيد للعراق و اخر للكويت.

كما قلت تفاعلات البلدان الخليجية التعاونية مع اعضاء النظام العربي في حين زادت مع بلدان اجنبية خارج هدا النظام [24].

بل و تم فصل الخليج من الناحية السياسية و الاستراتيجية عن الوطن العربي [25].

---

[23] يزيد صايغ – ازمة الخليج و اخفاق النظام العربي – العدد (149) – 7\1991 – صفحة رقم (16).

[24] المرجع السابق – صفحة رقم (16).

[25] برهان غليون – حرب الخليج و المواجهة الاستراتيجية في المنطقة العربية – في برهان غليون, محرر – امة الخليج و تداعياتها عن الوطن العربي – (بيروت, مركز الدراسات الوحدة العربية, 1991 - صفحة رقم (22).

ب) الحرب و التهديدات الموجهة للنظام الاقليمي

قد تسهم الحرب في زيادة التهديدات الموجهة لنظام اقليمي معين, و دلك من خلال عدة محاور داخلية مثل احدات نوع من الفرقة و التشتت داخل النظام و ترسيخ الانقسام و العنف و من ثم يصبح التهديد نابع من داخل النظام داته, حيث ان النظام قد يصاب بحالة من الشلل الكامل بسبب عزوف اطرافه عن تنفيد التزاماتهم للحفاظ على النظام.

كما قد تظهر تهديدات خارجية – حيث ان الحرب يمكن ان تزيد من التهديدات الموجهة لنظام اقليمي معين من خلال زيادة او تعزيز التفوق لقوى يعتبرها النظام مصدر تهديد له.

و من امثلة دلك تعزيز التفوق الاسرائيلي العسكري خلال حرب الخليج الثانية فيما بعدها سواء اكان دلك بسبب الاختلال الدي نجم عن تدمير قوة العراق او بسبب الاسلحة الجديدة التي حصلت عليها خلال الحرب [26]. كما ان حرب الخليج الثانية افادت ايران من حيث اضعاف القوة الموازنة لها في المنطقة و هي العراق مما ادى الى زيادة اطماعها في تفتيت النظام الاقليمي العربي و تاسيس نظام اقليمي مستقل لدول الخليج و تاكيد وضعها الجيوبوليتيكي في المنطقة, و من ثم زادت تهديداتها للنظام الاقليمي العربي, كما ان الوجود العسكري الاجنبي في المنطقة نتيجة لحرب الخليج الاولى و الثانية بلا شك يمثل تهديدا للنظام الاقليمي العربي.

ج) الحرب و المنظمات الاقليمية

تمثل الحرب اختبارا واقعيا لفعالية و كفاءة المنظمات الاقليمية و ضبط و ادارة الصراعات الاقليمية فيما بين اعضائها او بين اعضائها و اطراف اخرى او في القيام بالتزاماتها اتجاه احد اعضائها ادا ما كان طرفا في حرب ما او تحقيق التنسيق و الوصول لموقف موحد للمنظمة و من ثم نتيجة للحروب يمكن ان تنهار منظمات اقليمية رسميا مثل الغاء مجلس التعاون العربي بين مصر و اليمن و الاردن و العراق نتيجة لقيام العراق بغزو الكويت, او واقعيا في فشل المنظمة في اتخاذ تدابير فعالة اثناء الحرب او ايجاد موقف موحد لأعضائها مثلما حدث لمجلس التعاون الخليجي و فشله في الدفاع عن احد اعضائه و مساندته عسكريا, و كذلك فشل جامعة الدول العربية في اتخاذ موقف و اجراءات فاعلة ضد غزو الكويت.

و من ثم ينتج عن دلك اما الانهيار الرسمي للمنظمات نتيجة لعدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها اتجاه اعضائها او استمرارها مع اتجاه اعضائها و تحالفات خارج اطار المنظمة.

[26] تركي الحمد – ازمة الخليج: الجدور و الاثار – المستقبل العربي – العدد (152) – 10 \1991 – صفحة رقم (39).

خاتمة

تعتبر القوات المسلحة إحدى الادوات الأساسية لتنفيذ السياسة الخارجية وإحدى المقومات الأساسية لنجاح الدبلوماسية. ورغم أن القوات المسلحة تعتبر باهظة التكاليف إذا ما قورنت بالدبلوماسية وغير مرغوب في استخدامها في المجتمع الدولي كوسيلة لتحقيق الأهداف الخارجية، إلا أنها مع ذلك تحظى باهتمام بالغ لدى حكومات المجتمع الدولي ذلك أن الأداة العسكرية "تهيئ خلفية من الثقة والاستقرار لعمل الدبلوماسية وأن التفاوض من مركز القوة حكمة سليمة، إذ لا يمكن لدولة لا تسندها قوة عسكرية أن تمتنع عن إعطاء تنازلات تضر بمصالحها الحيوية إذا تعرضت لضغوط وتهديدات ليس بوسعها أن تقاومها".

و القوات المسلحة تستخدم في أكثر من مظهر واحد. فبالإضافة إلى استخدامها التقليدي ونعنى به الاستخدام الفعلي وقت الحرب للدفاع أو الهجوم، تستخدم القوات المسلحة أيضاً وقت السلم للضغط والردع وما يترتب عليهما من رضوخ الأطراف الأخرى وتحقيق المصالح القومية.

إن استخدام القوات المسلحة كوسيلة للضغط والردع وقت السلم هو الذي يبرر النفقات الباهظة عليها ويزيد من قناعة المواطن العادي بأهمية النفقات وتحمل آثارها.

فعدم دخول القوات المسلحة في حرب دفاعية أو هجومية لا يعني توقف فاعليتها، بل إن استخدام القوات المسلحة في السلم للضغط والردع يفوق استخدامها في الحرب ذلك أن القتال استثناء والسلام هو القاعدة.

كما أن الضغط والردع، إذا تم من خلالهما تحقيق الهدف القومي، أكثر جدوى من الحرب حيث أنهما لن يكلفا الموطن والمواطن أي عبء إضافي في حين أن الحرب سيترتب عليها خسائر إضافية للوطن والمواطن وحجم هذه الخسائر يتوقف على طول أمد الحرب ونوعية الأسلحة المستخدمة فيها.

الاستخدامات المختلفة للقوات المسلحة:

تستخدم القوات المسلحة في أشكال مختلفة. ويمكن أن نحدد ثلاثة استخدامات رئيسية للقوات المسلحة. فقد تستخدم القوات المسلحة كأداة للهجوم Offensive Capability. واستخدام القوات المسلحة للتوسع والسيطرة سمة من سمات العلاقات الدولية المعاصرة. إن احتلال إسرائيل للأراضي العربية، واحتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، وأمريكا للعراق مجرد أمثلة لحالات لاحصر لها. ومما زاد من فاعلية وأهمية استخدام القوات المسلحة كأداة للهجوم هو نجاح هذه السياسة في تحقيق عدد من الأهداف القومية للدول التي أخذت بها.

كما أن الأخذ باستراتيجية الهجوم في الحرب يأتي من قناعة الدولة المهاجمة بأن الهجوم رغم ما يترتب عليه من مسؤوليات قومية وانتهاك للقوانين الدولية هو أفضل وسيلة للدفاع وتحقيق الأهداف

القومية حيث أن الدولة التي تبدأ الهجوم عادة ما تختار الوقت المناسب والظروف الملائمة للقتال، وهذا عنصر هام في تحويل مجرى الحرب وتحديد نتائجها.

وقد تستخدم القوات المسلحة كأداة للدفاع Defensive War Capability واستخدام القوات المسلحة للدفاع استخدام مشروع حيث أن الدولة مضطرة للدفاع عن أمنها ومصالحها القومية.

كما أن الدولة التي تلجأ للدفاع تحظى بدعم وعطف الرأي العام العالمي حيث ينظر إليها على أنها دولة معتدى عليها. لكن مقابل الشرعية والعطف العالمي تفقد الدولة التي تلجأ لاستراتيجية الدفاع مزايا عسكرية هامة منها فقدان زمام المبادرة والاستعداد وفرض الحرب عليها في وقت قد يكون غير مناسب ووفق ظروف غير ملائمة.

إن المحصلة النهائية لاستراتيجية الحرب الدفاعية تعتمد على قدرة وإمكانيات حكومة الدولة المدافعة والروح المعنوية لشعبها.

فقد تدخل الدولة في حرب دفاعية لكن نظراً لتوفر الإمكانيات لديها وقدرة حكومتها على التعبئة العسكرية وتضحية شعبها تحول الحرب الدفاعية إلى حرب هجومية بعد احتواء الهجوم المعادي وصده ومن ثم تحويل المعركة إلى أراضي الدولة المعتدية.

وفي هذه الحالة تتحول الاستراتيجية للدولة من استراتيجية دفاع إلى استراتيجية هجوم وهنا تكسب الدولة شرعية الحرب وتحقق مصالح قومية جديدة غالباً ما تكون مصالح استراتيجية.

وأخيراً تستخدم القوات المسلحة كأداة للردع Deterrent Capability والردع سياسة معقدة تعني في مفهومها المبسط أن الأسلحة تخزن والجيش يجهز لا بقصد الاستعمال في الهجوم وإنما بقصد إقناع الخصم بأنها ستستخدم فوراً لصد أي هجوم جدي يقوم به.

ونجاح سياسة الردع يتطلب توفر عدد من المتطلبات الأساسية. أول هذه المتطلبات حيازة الدولة الرادعة إمكانيات كافية من القوة لرد الدولة المهاجمة وإقناعها بان مسار المعركة في حال وقوعها قد يتحول ضد مصلحتها. ثم لابد أن يكون هناك تصميم ملموس من قبل الدولة الرادعة على الاستخدام الفعلي للإمكانيات المتاحة لها لصد أي عدوان خارجي.

كما أن الدولة المهاجمة يلزم أن تعرف معرفة دقيقة الإمكانيات المتاحة لدى الدولة الرادعة. فمعرفة هذه الإمكانيات سيساعد على نجاح سياسة الردع وعدم معرفتها سيشجع الدولة المعتدية على الهجوم.

بالإضافة إلى ذلك يتطلب نجاح سياسة الردع معرفة الدولة الرادعة للقيم التي تحكم سلوك الدولة التي تهدد بالهجوم. فالطبيعية العدوانية للدولة المهاجمة سوف تحد من نجاح سياسة الردع إذ أن الدولة العدوانية عادة ما تقدم على المغامرات العسكرية بغض النظر عن احتمالات النجاح.

أخيراً لنجاح سياسة الردع يفترض أن المعتدي يتصرف بطريقة عقلانية ويقدر العائد والتكلفة للعمل العسكري ومدى خدمة هذا العمل للمصلحة القومية. فغياب العقلانية يعني انعدام التقييم الموضوعي للعمل العسكري والاستسلام للعواطف والرغبات. وهذا الاستسلام قد يدفع قادة الدولة المهاجمة إلى الدخول في مغامرة عسكرية بغض النظر عن محصلتها النهائية.

المراجـــــع

1. احمد عبده بيلي – الحرب و اثرها في القيم الاخلاقية و معايير السلوك الاجتماعي – الاسكندرية – دار المعرفة الجامعية – سنة 1984.
2. احسان محمد الحسن- علم الاجتماع العسكري- الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية- سنة 1990.
3. بطرس بطرس غالي, محمود خيري عيسى – المدخل في علم السياسة – القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – سنة 1989.
4. جيمس دروتي- روبرت بالستغراف – النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية – الكويت: كاظمة للنشر و الترجمة و التوزيع – سنة 1985.
5. محمد ازهر السماك – الجغرافية السياسية اسس و تطبيقات – جامعة الموصل – دار الكتب للطباعة و النشر – سنة 1988.
6. مصطفى اخشيم – قضايا و ازمات دولية معاصرة: النظرية و التطبيق – طرابلس: منشورات الجامعة المفتوحة – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية – سنة 1990.
7. مصطفى كامل السيد – الاثار السياسية الداخلية في الوطن العربي للجولة الاولى من حرب الخليج الثانية – في د. نازلي معوض, محرر – الوطن العربي في عالم متغير: ازمة الخليج الثانية (القاهرة: مركز البحوث و الدراسات السياسية – سنة 1991.
8. مصطفى علوي – الدراسات الاستراتيجية – مجلة الفكر العربي – العدد 37 – يوليو- سنة 1991.
9. حسن شكري – اسرار حقبة العرب و النفط و الالف مليار دولار: (القاهرة: دار الكتاب العربي, 1991).
10. حسنين توفيق – ظاهرة العنف السياسية في النظم العربية – جامعة القاهرة - – كلية الاقتصاد و العلوم السياسية – سنة 1990.
11. عادل محمد عبد اللطيف – استبعاب العمالة العائدة – حالة الاردن و مصر و لبنان و اليمن – المستقبل العربي – العدد (182) – 4- 1994.

12. عبد الرحمن حسن صبري – اثر الانفاق العسكري في اسرائيل على مسار النمو الاقتصادي. (القاهرة: دار النهضة العربية,1980).
13. يزيد صايغ – ازمة الخليج و اخفاق النظام العربي – العدد (149) – 7\1991.
14. روجر باركنس, موسوعة الحرب الحديثة- الجزء الثاني- ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي- بغداد- دار المامون- 1990 الموسوعة العسكرية- الجزء الاول- بيروت: الموسوعة العربية للدراسات و النشر- سنة 1981.
15. سمر سلام – تداعيات الازمة و حركة رؤوس الاموال العربية – السياسة الدولية – العدد 103 – يناير – سنة 1991.
16. Ronald.jGlossop, Confromting War. An Examination of Humanity, smost Pressing. Problem, (London:mc,farlanol, 1983)